الأسراء والمعراج
والعلم الحديث

الله نور السموات والارض

للأستاذ حسنى طه شكيبان

حلقة من بحثنا الكريم (الحقيقة المحمدية والعلم الحديث) تأتى فى زمنها وان تقدمت عن مكانها ... تحية بين يدى هذه الذكرى العاطرة

يقصد بالاسراء السرى ليلا بالمصطفى الكريم من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الأقصى المبارك بفلسطين مولد عيسى ومهجر موسى ومهد ابراهيم واسحق ويعقوب ، ومملكة داود وسليمان ، ومرتع زكريا ويحيى وعمران ومريم البتول .

وقد شاهد المصطفى الكريم فى رحلته تلك من اكرام الله له ما أطلعه على آيات بينات فى طريقه لبيت المقدس ، وفى رحابه حيث احتشد له النبيون فصلى بهم جميعا اماما ـ كما هو مقامه ـ واحتفلوا به فى ليلة تجلى ربه الكريم عليه

ويقصد بالمعراج رقيه صلوات الله عليه فى آفاق الوجود حيث اخترق السبع الطباق الى سدرة المنتهى ـ حيث ينتهى علم الخلائق ـ وحيث يتغشاها من الجلال والبهاء ما يتغشاها مما لا يصفه بيان ، وحيث جنة المأوى التى تحيط بالارض والسموات : قال تعالى :

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض ... »

ثم تجلى عليه ربه العظيم فأفاض عليه من أنواره وفيوضاته بما لا يوصف ببيان أو يحيط به عقل أو تصور ...

وقد عبر عن هذه الآيات فى الاسراء بقوله تعالى :

«لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير .. » وعن فيوضاته تعالى فى معراج حبيبه بقوله : « **لقد رأى من آيات ربه الكبرى .** »

والاسراء ثابت بالقرآن الكريم والسنة والاجماع ...

فسميت سورة باسمه واشتملت على آيتين كريمتين :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا . أنه هو السميع البصير . »

... « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ... » (٦٠)

وأما المعراج فثابت أيضا بالقرآن الكريم والسنة والاجماع .

فأما القرآن الكريم ففى سورة النجم آيات تدحض ببيانها كل من أراد أن يتأول أو يتمسك بالظواهر والقشور ... قال تعالى :

« والنجم اذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) ولقد رآه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى (١٤) عندها جنة المأوى (١٥) اذ يغشى السدرة ما يغشى (١٦) ما زاغ البصر وما طغى (١٧) لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨) .

فهى تحدثنا عن تلقيه الوحى من جبريل ورؤيته مرة فى أعلى الأفق ثم دنا فتدلى ثم رؤيته ثانية عند سدرة المنتهى وعندها ينتهى علم الخلائق حيث يغشاها من الانوار ما يغشى وعندها جنة المأوى ... التى عرضها السموات والارض .. فكيف يتم ذلك دون عروج ورقى الى هذه الآفاق السامية ؟!.

والصحابة والأئمة من العلماء فى هاتين المعجزتين الكريمتين على آراء :

١ ـ كلاهما حدث بالروح وبالجسد ... وعلى ذلك جمهور الصحابة وعلى رأسهم ابن عباس حبر الأمة وعمر وأبو بكر وعلى وعثمان ، وبه يقول جمهور المفسرين

٢ ـ كلاهما حدث بالروح يقظة ـ لا مناما ـ وبه قال بعض الصحابة منهم عائشة أم المؤمنين ومعاوية . وعليه بعض المفسرين والمعتزلة

٣ ـ الاسراء يقظة والمعراج مناما .

أما الوقت ففيه آراء : منها أنهما حدثا معا فى ليلة واحدة . ومنها أنهما حدثا فى ليلتين ، ومنها أن المعراج حدث مناما قبل الاسراء والمعراج معا ..

ثم قيل : انهما حدثا فى ليلة ٢٧ من رجب ـ وهو المشهور ـ فى السنة الثانية قبل الهجرة ، أو فيما بعد الهجرة ...

والذى يقرره الجميع أنهما حدثا للمصطفى الكريم تكريما له من رب العزة بعد سنوات من الكفاح المرير فى هضاب مكة الجدباء ، وفى أعماق نفوس أهليها الجافية ، ومع عنتهم ولجاجهم العنيف .

وآراء الأئمة مبسوطة فى كتب التفسير والحديث ، وحسبنا منها مقالة كريمة لأكبر صديق ، لابى بكر خليل المصطفى ورفيقه فى الغار وصاحب الايمان الراجح بايمان الأمة .

ذهبت اليه قريش تحرضه على الانتقاض على الرسول بعد حديث الاسراء والمعراج فقال لهم : وانه لصادق .. قالوا : أو تصدقه فى هذا ؟.. قال مقاله الرائعة .. وكيف لا أصدقه وأنا أصدقه فى أكبر من ذلك .. أصدقه فى خبر السماء يتنزل عليه ... »

فهو يصدقه فى تنزل جبريل الأمين عليه،والملائكة بين يديه ، واصطفاء الله له بهذه الرسالة العظمى ، وما نزل جبريل وصحبه الا ليكونوا جنودا بين يدى القائد الأعظم من رحمة الله للعالمين ...

واذا كان جبريل وهو صديق محمد وجنديه اذا لزم الأمر يصعد فى كل لحظة ويتنزل لكل أمر دون حرج أو مشقة،فكيف بسراج الحياةوالداعى الأكبر بأمر الله ؟ ثم ماذا فى هذا ؟..

رب العزة الأعظم يستضيف حبيبه وخليفته الاول ورسول رحمته للعالمين ليفيض عليه من تجلياته ؟ .. ألا فلتقصر الألسنة عن الجدل العقيم فما كان لها أن تنال من هذا الجلال ...

وهدفنا اليوم أن نستعرض الفكر الحديث بمقاييس العلم الذى تعمق كثيرا من أسرار الكون العجيب ...

ويدعونا المقام أن نبسط الحديث فى التفسير العلمى لمعجزات الانبياء وكرامات الأولياء ولكننا نرجىء ذلك لحديث قادم بتوفيق الله - نقتطف منه سطورا اليوم

المعجزة :

« لقد قالوا : انها أمر خارق للعادة يجريه الله على رسول لتأييده فى دعواه أنه رسول هداية للناس من قبل الله تعالى ، ثم فيها من التحدى ما يعجز البشر عن الاتيان بمثلها » وذلك حق ... ولكنه لا يحمل أبدا معنى الخفاء المطلق الخالد ، فليس ما يمنع أبدا أن ندرك القوانين التى تجلت فى عمل هذه المعجزة أو تلك ضرورة أنه لايتم فى كون الله العظيم الا ما يجرى وفق سنن مرسومة رائعة النظام بديعة التكوين ساميه الحكمة ...

وأنت تشهد هذه الروائع من حكمة الله فيما صنع فى كل لحظة بعينى رأسك وفى تقارير العلماء كل يوم ، وتسمع ذلك فى القرآن الحكيم فى آيات كثيرة :

ولن تجد لسنة الله تبديلا ... انا كل شىء خلقناه بقدر .

والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء ... »

وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم .

وكل شىء أحصيناه فى امام مبين .

يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردلفتكن فى صخرة أو فىالسموات أو فى الارض يأتبها الله .

ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن ...

أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون .

وكان الله عليما حكيما ...

فيض زاخر من آيات الحكمة الرائعة وراء كل صنعة وفى كل تدبير بقدر وأرانى أتعجل فأضرب مثلايشهد به العلم فى أدق دراساته وهو شىء سبق به القرآن العظيم وغفل عنه المسلمون ، وفيه من دلائل الايمان العجيب الرائع :

لقد مضت قرون والفكر اليونانى يسيطر على العقولفيقرر أن : الذرة : هى الجوهر الفرد والذى لا ينقسم على نفسه فهى أول حجر فى بناء الكون المادى وعليه مضت الفلسفة الاسلامية ، وقد غفلت عن صوتالقرآن الحكيم يوجه العقول والقلوب والجهود لهذه الآفاق العجيبة حيث يعلن عن انقسام الذرة الى أصغر منها ، ودورانها العجيب حيث ترى ساكنة : قال تعالى : **« وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين »** (٦١) يونس .

ومثلها فى أول سبأ رقم (٣)

فانظر كيف يحدثنا عن شىء أصغر من الذرة وما ذلك الا بانقسامها لتخرج النواة وينفصل الالكترون ؟! ثم استمع الى هذهالساكنات الدائرات ... الساكنات فى مرأى العين الدائرات على الحقيقة :

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع اللهالذى أتقن كل شىء » (٨٨) النمل . فهى راسخة راسية فى نظرك موارة دوارة كانطلاق السحاب - صنع الذى أتقن وأبدع كل شىء ...

وقد أخذ العلم بهذه الدقة فأعلن : « ان القوانين التى تحكم المجموعة الشمسية التى تنطلق كواكبها حول مركز الشمس هى نفس القوانينالتى تحكم الذرة فى أصغر حجر للكون المادى » بل « ان القوانين التى تسيطر على الخلية الوحيدة هى نفس القوانين التى توجه الانسان أرقى الكائنات ... فالذى فطر هذا هو الذى خلق ذاك ... »

سبحانه من خلاق عظيم .. **« ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ... » صنع الله الذى أتقن كل شىء » ... « فتبارك الله أحسن الخالقين »**

ولنا مع ذلك عودة بتوفيق الله تعالى ...

والآن الى الاسراء والمعراج فى منطق العلم الحديث .

ان الاسراء من مكة لفلسطين فى مسافة تبلغ ٢٥٠٠ كم تقريبا وقد استعظم ذلك العرب بمقاييسهم الصغيرة ووسائلهم العاجزة ... وقد زعم بعض المعتزلة أن ذلك الانتقال فوق الطاقة البشرية ونسوا أمرا أعجب وهو انتقال عرش بلقيس من أقصى اليمن فى الجزيرة العربية الى سليمان بفلسطين فى لمح البصر ...

أما العلم الحديث فلا ينكر من ذلك شيئا فقد ورد انه جىء له بالبراق الذى يطير ويضع حافره فى مدى بصره .. فهو طيارة الفضاء المادى لدى

الملائكة والارواح ان احتاجت ، وهو طيارة المصطفين الأخيار ... دون أن يحدث للجسد ما يعوق طبيعته ...

أما المعراج ففيه الحديث حقا ... ان معناه رقى المصطفى فوق الكون المادى كله حيث استفتح له جبريل الأمين السموات السبع المحيطة بالدنيا كلها ثم صعد الى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ... فكيف تم ذلك علميا ..

لا يعرف العلم المادى سرعة أكبر من سرعة الضوء والتيار الكهربى فهو ينطلق فى الثانية الواحدة (١٨٦٫٢٨٣ ميلا) أى مايقرب من ٣٠٠ ألف كم ومعناه أنه يلف الكرة الارضية سبع مرات فى الثانية . فهل تحول الجسد الشريف الى نور فانطلق فى الكون المادى بسرعة الضوء ؟.. وفى هذا قضيتان : أفى منطق العلم تحول المادة الى نور ؟. .

وهل ان صح ذلك أيمكن أن يعود الى طبيعته ؟. وهل مع ذلك يمكنه اختراق الأكوان بالسرعة المعلومة فى ليلة واحدة ؟ ..

لقد قال الصوفية ان الجسد الكريم تحول الى نور ليصبح فى طبيعة الملائكة والسماء فهم من خلق النور كما يقول الحديث الشريف الذى رواه أحمد ومسلم :

« خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق الانسان مما وصف لكم » .

ومع ان نورانية الملائكة غير نورنا فان تحول الجسد الشريف لهذه الطبيعة يسهل عليه وفقا لقوانين الكون الرائعة الانطلاق فى هذه الآفاق.

والعلم الحديث لا ينكر تحول المادة بهذه الصورة ، وامكان اعادة تكوينها. وقد وصل فعلا لنقل المادة بهذه الصورة فى صورة مبسطة :

فالتليفزيون قائم على نقل الصور المادية المنطبعة على اللوحة الحساسة بتحويل جزئياتها الى ذبذبات كهربية لاسلكية ثم اعادة تكوينها على الوضع الاول لها فى جهاز الاستقبال (الراديو والتليفزيون) وكذلك الرادار - وهو أعجب - وكذلك نقل الصور للجرائد والمجلات بالراديو ... كل أولئك أعطى العلماء فكرة امكان نقل المادة بعد تحويلها الى ذبذبات كهربية

أما أن المادة نور ... فالعلم يقرر ذلك ... فالمادة مكونة من عناصر رئيسية تبلغ ٩٢ عنصرا اليوم وقد خلقوا منها ١٠ عناصر لا نظير لها فى الطبيعة ، وهذه العناصر مكونة من ذرات صغيرة ولكل عنصر وزن وعدد ذرى خاص به لا يتعداه فى قائمة تبدأ بالايدروجين رقم (١) وتنتهى باليورانيوم رقم (٩٢) ووزنه الذرى (٢٣٨)

ثم الذرة مكونة من نواة وهى شحنة كهربية موجبة والكترون وهو شحنة سالبة وجسيمات متعادلة أو عديمة الشحنة وكلها جسيمات أصغر من

الذرة نفسها فقلب الذرة اقل من الذرة ٥٠ ألف ضعف تقريبا والفراغ فيها كالفراغ بين الارض والشمس فى ذرة الايدروجين وألكترونها دوار حول نواتها كالارض حول الشمس تماما ... قوانين واحدة ويد خلاق عظيم واحد ...

فتبارك الله أحسن الخالقين ...

ومعناه أن المادة فى حقيقتها كهرباء والكهرباء طاقة واشعاع ونور . مما حدا بعالم فلكى شهير اسمه جيمس جينز الانكليزى أن يعتبر الكون المادى مظهرا لحقيقة هى الاشعاع والنور .. الاشعاع الذى تكاثف والنور الذى تجمع فسكن بعض الشىء فى المادة ...

ومن هنا يقرر العلم الحديث أن الاجسام فى النبات والجماد والحيوان والانسان فى الارض والكواكب والنجوم كلها من النور ...

وأراك تقرأ معى تلك الآية الرائعة فى سورة النور :

« **الله نور السموات والارض** (حتى قوله تعالى) « **نور على نور** ... (٣٥) » فالكون كله نور ... هكذا يقول العلم .. وبه قال القرآن العظيم منذ أربعة عشر قرنا ...

ولكن أيمكن مع ذلك اختراق الكون المادى والسموات ؟..

وهنا يقف العلم الحديث فلا يجد الى الآن تفسيرا بمقاييسه القاصرة... فالعلم يقرر أن الكون المادى وحده يتسع لبلايين السنين وقدره اينشتين بما يقرب من ٣٥ بليون سنة وهو كالكرة تتباعد مجراته ونجومه وسدمه عن بعضها .. حتى شبهه جيمس جينز بفقاعة الصابون التى تنتفخ وستنفجر يوما ما فلا نرى بعدها نجما فى السماء لتباعدها . وأما السماء فلا يعرف العلم الحديث عنها أكثر من السمو بمعنى العلو أما القرآن العظيم فقد قال : ان الكون المادى كله فى السماء الدنيا

« **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ... (٥) الملك ..** »

« **انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب (٦) الصافات** »

فجعل المصابيح من النجوم والكواكب السيارة من حولها كلها زينة السماء السابعة المحيطة بكل ذلك... وما بالك بسدرة المنتهى عندها جنة المأوى التى عرضها كعرض السموات والارض فهى تحيط بكل ذلك :

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض .... (١٣٣) آل عمران

أجل : لقد اخترق المصطفى الكريم كل هذه الآفاق .

والعلم الحديث يؤمن فى ذلك بتحول الجسد الى نور ، وان كان لايملك منطقا اليوم لتفسير هذه الظاهرة الكونية الرائعة ... فهى الى الآن فوق

العقل البشرى لم يكشف الله لنا عن سترها وان كان قد وعد بكشف الكثير من الآيات الرائعات .. قال تعالى :

« **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق** .. » آخر فصلت

ولو قد ذهبت تتصور مع العلم والقرآن هذا الكون لكان كما فى هذه الصورة المرفقة : قال تعالى : « **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين** » . المؤمنون . وقال : « **الله الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت** » . الملك

ومعناه أن المصطفى رقى هذه الآفاق كلها .. وهل تجد فى ذلك من عجب ؟! .

لقد قال رب الوجود : لنريه من آياتنا .. انه هو السميع البصير . فهى آياته المنسوبة اليه ... ان من آيات الانسان اليوم صاروخا وقمرا وكوكبا عاشرا ينضم للمجموعة الشمسية ... فما بالك بآيات الخلاق العظيم ؟..

ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله قال تعالى :

« **ومن آياته الشمس والقمر** ... » ولكنه لا يصفهما بالكبر أما الآيات التى أطلع الله حبيبه عليها فى تلك الليلة فقد قال عنها : « **لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨)** » النجم

انها الآيات الرائعات فى خلق السموات وخلق الملائكة وآفاق الملكوت الأعلى حيث رقى مقاما لم يبلغه ملك أو كائن ، وفرض عليه وأمته خمس صلوات ليتصل فيها الكيان الروحى بسره الاعظم وروح الوجود الاعظم فيرقى الانسان يوميا بروحه لربه خمس مرات رقيا عاليا . أفلست تسمع الرسول يقول عنها :

« **وجعلت قرة عينى فى الصلاة** ... » ألست تسمعه وهو يغادر الارض الى أول الآخرة لا يرضى بالارض ولا بالسموات السموات التى شاهد فيها الملائكة فى ليلة عروجه فرأى آدم وموسى وهرون وعيسى وزكريا وابراهيم ... لا يرضى بذلك فيقول آخر كلمة له : **بل الرفيق الأعلى من الجنة** ...

وأفصح عن هذا المقام مرة فقال :

« **لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا** »

ان المقام المحمود فى حضرة الرب الكريم فاقصروا !! فهناك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هناك قول الله تعالى :

لقد رأى من آيات ربه الكبرى وكفى ...

والى لقاء كريم ..

حسنى طه محمد شكيبان
معلمات راس التين - اسكندرية